

## جهود المملكة في خدمة الحج والحجيج

المملكة العربية السعودية أكرمها الله وشرفها بخدمة الحج ومشاعره، وبخدمة الحجيج وفد الرحمن.

أخرج ابن خزيمة تحت رقم (٢٥١١)، وابن حبان تحت رقم (٣٦٩٢)، والحاكم تحت رقم (١٦١١)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَمَمْ يُخْرِجَاهُ" اهـ، ووافقهم الألباني والأرنؤوط، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَقَدْ اللَّهُ ثَلَاثَةٌ: الْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ، وَالْعَازِي".

ويفتخر ولاية أمرها بلقب : (خادم الحرمين الشريفين).

وقد بذلت من الجهد والعمل الدؤوب الشيء الكثير ولا زالت تبذل، في خدمة الحجاج والعمار، ليؤدوا نسكهم في أمن وأمان ، على الوجه الشرعي المرضي إن شاء الله .  
ومن أراد أخذ فكرة عامة عما صنعتها المملكة العربية في هذا الباب، فإن أمامه طريقان:

الأول : أن يقرر ذلك عن طريق الإحصاءات والأرقام، ويستطيع الوقوف على ذلك من خلال التقارير السنوية للوزارات ذات الشأن، كوزارة الشؤون الإسلامية، والرئاسة العامة لشؤون الحرمين وغيرها.

الآخر: أن يرجع إلى كتب الرحلات التي وصف فيها الحال بالمشاهدة قبل دخول الملك عبدالعزيز رحمه الله الحجاز واليا عليها، وبعد ذلك، ليتبين له الفرق (١).  
وبضدها تتميز الأشياء!

**= الذهاب إلى الحج مفقود والراجع منه مولود!**

جاء في مجلة دار الملك عبدالعزيز:

"كانت رحلة الحج قبل تأسيس الدولة السعودية محفوفة بالمهالك، فقد انتشرت

---

(١) وهذا الفرق بين كتب الرحلات وكتب التاريخ، فإن كتب الرحلات تنقل مشاهدات صاحب الرحلة ، بينما كتب التاريخ تذكر الأحداث العامة مرتبة على الحوليات، بدون ذكر مثل هذه المشاهدات إلا في النادر.

عصابات قطع الطرق على الحجاج، وكان الحجاج لا يمشون إلا في جماعة، لسوء أحوال الأمن واضطرابه، وعندما كان الرجل ينوي الحج كان أقربائه وأصدقائه يودعونهم وداع الفراق، وكانوا يقولون: «الذاهب للحج مفقود والعائد منه مولود»].

تجتمع على الحاج المخاطر وتتناوشه من كل جانب؛  
سواء كان قطاع الطرق.

أو الكوارث الطبيعية مثل السيول والأمطار أو شح المياه أو الحيوانات المفترسة التي تقابله في رحلته.

فوق كل ذلك الإتاوات التي تدفعها القوافل للسماح لهم بالمرور.

كانت الجزيرة العربية توج في الفوضى وعدم الاستقرار، فقد كانت عبارة عن إمارات ومشيخات صغيرة، يتعرض من يقصدها أو يغادرها إلى السلب والنهب، وكانت قوافل الحجيج هي أكثر المتضررين من هذه الفوضى العارمة، فقطاع الطرق لا يراعون فيهم ذمة، حتى إنهم كانوا يقتلون جميع من في قافلة الحجاج في بعض الأحيان؛

فكانت أحوال الحجاج قبل العهد السعودي خوفاً وهلعاً معظم أوقات رحلتهم، إضافة إلى المرض والإجهاد البدني، حتى وصل السلب والسرقة حدود الحرم.

يؤكد محمد طاهر الكردي في كتابه «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم»، اشتعال عدد من الفتن و القتال داخل حدود الحرم خلال موسم الحج ، مشيراً إلى أنه و في شهر الحج من عام ١٣٢٦ هـ اشتعلت فتنة بين الصفا و باب الوداع ، وترامى الطرفان بالرصاص، مما نتج عنها قتل عدة أنفار من العسكر و المدنيين.

ويعزز إبراهيم رفعت صاحب كتاب «مرآة الحرمين» ما ذهب إليه محمد طاهر الكردي عن أحوال الأمن في مكة المكرمة في مطلع القرن العشرين الميلادي، مؤكداً أن من كان يريد زيارة جبل النور، و هو جبل قريب من المسجد الحرام يوجد به غار حراء ، أن يحمل معه الماء الكافي ، و أن يكون الحجاج على شكل جماعات يحملون السلاح حتى يدافعوا عن أنفسهم من اللصوص الذين يتربصون بهم لسلب أمتعتهم.

و يقول إبراهيم رفعت أيضاً : إن سلطات ذلك الزمان التابعة للدولة العثمانية

كانت تقف موقف المتفرج من هذه الفوضى وإيذاء الناس و الحجاج حتى إنه حدث

قتال في مكة ليلة وصلنا من منى إلى مكة بين الأعراب أمام ديوان الحكومة دون أن يبالوا بها، وقد قتل في تلك المعركة ثمانية أشخاص" اهـ.

لاحظ الآتي :

- موقف ديوان الحكومة العثمانية السليبي من الذي حدث!
- الحادث الذي ذكره محمد طاهر كردي حدث سنة ١٣٢٦هـ.
- الحادثة التي ذكرها القمندان إبراهيم رفعت باشا كانت في رحلته الأولى عام ١٣١٨هـ، وهي التي سجلها في كتابه مرآة الحرمين.
- هذا كله قبل زمن دخول الحجاز تحت ولاية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل رحمه الله، مؤسس الدولة السعودية الثالثة المستمرة والحمد لله رب العالمين إلى اليوم.

= ابن جبير محمد بن أحمد بن جبير الكنايني الأندلسي، أبو الحسين (المتوفى:

٦١٤هـ) رحمه الله. يصف مشاهداته عندما وصل إلى جدة للدخول إلى مكة!

جاء في رحلة ابن جبير ط دار الهلال (ص: ٤٨ - ٤٩) قوله:

"وأكثر هذه الجهات الحجازية وسواها فرق وشيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى. وهم يعتقدون في الحاج ما لا يعتقد في أهل الذمة، قد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها: ينتهبونم انتهابا، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلابا؛

فالحاج معهم لا يزال في غرامة ومؤونة الى أن يبسر الله رجوعه الى وطنه. ولولا ما تلاقى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في امر لا ينادى وليده ولا يلين شديده. فانه رفع ضرائب المكوس عن الحاج وجعل عوض ذلك مالا وطعاما يأمر بتوصيلهما الى مكثر أمير مكة، فمتى أبطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم عاد هذا الأمير الى ترويع الحاج واطهار تثقيفهم بسبب المكوس. واتفق لنا من ذلك أن وصلنا //جدة، فأمسكنا بها خلال ما خوطب مكثر الأمير المذكور. فورد أمره أن يضمن الحاج بعضهم بعضا ويدخلوا الى حرم الله، فان ورد المال والطعام اللذان برسمه من قبل صلاح الدين والا فهو لا يترك ماله قبل الحاج. هذا لفظه، كأن حرم الله ميراث بيده محلل له اكتراؤه من الحاج. فسبحان مغير السنن ومبدلها.

والذي جعل له صلاح الدين، بدلا من مكس الحاج، ألفا دينار اثنان وألفا اردب

من القمح، وهو نحو الثمانمائة قفيز بالكيل الإشبيلي عندنا، حاشا اقطاعات أقطعها بصعيد

مصر وبجبهة اليمن لهم بهذا الرسم المذكور. ولولا مغيب هذا السلطان العادل صلاح الدين بجبهة الشام في حروب له هناك مع الإفرنج لما صدر عن هذا الأمير المذكور ما صدر في جهة الحاج. فأحق بلاد الله بأن يطهرها السيف ويغسل أرجاسها وأدناسها بالدماء المسفوكة في سبيل الله هذه البلاد الحجازية لما هم عليه من حل عرى الإسلام واستحلال أموال الحاج ودمائهم.

فمن يعتقد من فقهاء أهل الأندلس اسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب وبما يصنع بالحاج مما لا يرتضيه الله عز وجل. فراكب هذا السبيل راكب خطر ومعتسف غرر. والله قد أوجد الرخصة فيه على غير هذه الحال، فكيف وبيت الله الآن بأيدي أقوام قد اتخذوه معيشة حرام وجعلوه سبباً إلى استلاب الأموال واستحقاقها من غير حل ومصادرة الحجاج عليها وضرب الذلة والمسكنة الدنية عليهم، تلافها الله عن قريب بتطهير يرفع هذه البدع المجحفة عن المسلمين بسيوف الموحدين أنصار الدين، وحزب الله أولى الحق والصدق، والذابين عن حرم الله عز وجل، والغائرين على محارمه، والجادين في اعلاء كلمته واظهار دعوته ونصر ملته، انه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير" اهـ

ثم تحدث عن أمر عجيب، تحدث به الحجاج والمجاورون تلك السنة فيقول (رحلة ابن جبیر ط دار الهلال ص: ١٨٩):

"ومن صنع الله الجميل وفضله العميم علينا أنا وصلنا الى هذه البلدة المكرمة فألفينا كل من بها من الحجاج المجاورين ممن قدم عهده فيها وطال مقامه بها يتحدث على جهة العجب بأمنها من الحرارة المتلصصين فيها على الحاج المختلسين ما بأيديهم والذين كانوا آفة الحرم الشريف، لا يغفل أحد عن متاعه طرفة عين الا اختلس من يديه أو من وسطه بحيل عجيبة ولطافة غريبة، فما منهم الا أحد يد القميص، فكفى الله في هذا العام شرهم الا القليل، وأظهر أمير البلد التشديد عليهم فتوقف شرهم، وبطيب هوائها في هذا العام، وفتور حمارة قيطانها المعهود فيها، وانكسار حدة سمومها. وكنا نبئت في سطح الموضع الذي كنا نسكنه، فرمما يصيبنا من برد هواء الليل ما نحتاج معه الى دثار يقينا منه. وذلك أمر مستغرب بمكة" اهـ.

يلاحظ :

- أن هذه الأمور قبل بكثير ما قصه الكردي وإبراهيم رفعت باشا، فإن رحلة ابن جبیر كانت في سنة (٥٧٩هـ).

- لفت نظري ما ذكره عن بعض فقهاء الأندلس، ولعل هذا هو السبب الذي منع ابن حزم رحمه الله من القدوم، للحج، فمات ولم يحج!  
 - وكذا قوله عن أمير جدة ومكة وما يفعله بالحاج: " كأن حرم الله ميراث بيده محلل له أكثرأوه من الحاج" اهـ ، والحمد لله رب العالمين على صلاح الحال!  
 - وكذا قوله : "ومن صنع الله الجميل وفضله العميم علينا أتًا وصلنا الى هذه البلدة المكرمة فألفينا كل من بها من الحجاج المجاورين ممن قدم عهده فيها وطال مقامه بها يتحدث على جهة العجب بأمنها من الحرارة المتلصصين فيها على الحاج المختلسين ما بأيديهم والذين كانوا آفة الحرم الشريف، لا يغفل أحد عن متاعه طرفة عين الا اختلس من يديه أو من وسطه بحيل عجيبة ولطافة غريبة..."; أقول: كأنه يذكره من باب الأمر الخارق للعادة (كرامة) حصل لهم بفضل الله، وذلك يفيد شدة استفحال الأمر في السوء!

**= وهذا الحال الذي وصفه ابن جبير رحمه الله في طريق الحاج موجود من قديم؛**

فقد ترجم ابن السبكي في كتابه (طبقات الشافعية الكبرى ٥ / ٣٣٥، الترجمة رقم ٥٤٦)؛ لمنصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد ابن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله التميمي الإمام الجليل العلم الزاهد الورع أحد أئمة الدنيا أبو المظفر بن الإمام أبي منصور ابن السمعاني.  
 الرفيع القدر العظيم المحل المشهور الذكر أحد من طبق الأرض ذكره وعقب الكون نشره، ولد في ذي الحجة سنة ست وعشرين وأربعمائة وسمع الحديث في صغره وكبره، (توفي في عام تسع وثمانين وأربعمائة ٤٨٩هـ).

أقول: يعني تقريباً قبل مشاهدات ابن جبير بمائة سنة، فإن رحلة ابن جبير بدأت من العالم (٥٧٩هـ)!

قال في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥ / ٣٣٦ - ٣٣٧):

"وَدَخَلَ أَبُو الْمُظْفَرِ بَعْدَادَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةَ، وَنَظَرَ بِهَا الْفُقَهَاءَ وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي نَصْرِ بْنِ الصَّبَاغِ مَنَازِرَةٌ أَجَادَ فِيهَا الْكَلَامَ وَاجْتَمَعَ بِالشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِيَّ وَهُوَ إِذْ ذَلِكَ حَنَفِيٌّ.

ثمَّ خَرَجَ إِلَى الْحِجَازِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ الْمُعْتَادِ فَإِنَّ الطَّرِيقَ كَانَ قَدْ انْقَطَعَ بِسَبَبِ

اسْتِيْلَاءَ الْعَرَبِ فَقَطَعَ عَلَيْهِ وَعَلَى رَفْقَتِهِ الطَّرِيقَ وَأَسْرُوا وَاسْتَمَرَّ أَبُو الْمُظْفَرِ مَأْسُورًا فِي أَيْدِي  
عَرَبِ الْبَادِيَةِ صَابِرًا إِلَى أَنْ خَلَصَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

فَحَكِّي أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ الْبَادِيَةَ وَأَخَذَتْهُ الْعَرَبُ كَانَ يُخْرِجُ مَعَ جَمَاهَا إِلَى الرَّعْيِ قَالَ: وَلَمْ  
أَقْلُ لَهُمْ إِنِّي أَعْرِفُ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ، فَاتَّفَقَ أَنْ مَقْدَمَ الْعَرَبِ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ فَقَالُوا: نَخْرُجُ إِلَى  
بَعْضِ الْبِلَادِ لِيَعْقِدَ هَذَا الْعَقْدَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ.

فَقَالَ أَحَدُ الْأَسْرَاءِ: هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يُخْرِجُ مَعَ جَمَالِكُمْ إِلَى الصَّحْرَاءِ فَقِيهِ حُرَّاسَانَ!  
فَاسْتَدْعُونِي وَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَبْتُهُمْ وَكَلِمَتُهُمْ بِالْعَرَبِيَّةِ فَخَجَلُوا وَاعْتَذَرُوا وَعَقَدَتْ  
لَهُمُ الْعَقْدَ فَفَرِحُوا وَسَأَلُونِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا فَامْتَنَعْتُ وَسَأَلْتُهُمْ فَحَمَلُونِي إِلَى مَكَّةَ فِي وَسْطِ  
السَّنَةِ وَبَقِيَتْ بِهَا مَجَاوِرًا وَصَحِبْتُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ سَعْدًا الزَّنْجَانِيَّ "اهـ.

= ولم يقتصر الحال على مكة ، بل حتى المدينة النبوية، فمن مشاهدات ابن  
جبير التي قصها في رحلته (رحلة ابن جبير/ ط دار الهلال ص: ١٦٠ - ١٦١):

"وفي يوم الجمعة المذكور، وهو السابع من محرم، يعني من عام (ثمانين وخمسمائة  
هجرية) شاهدنا من أمور البدعة أمرا ينادى له الاسلام: يا لله يا للمسلمين؛

وذلك أن الخطيب وصل للخطبة، فصعد منبر النبي صلى الله عليه وسلم، وهو على  
ما يذكر، على مذهب غير مرضي، ... فلما أذّن المؤذّنون قام هذا الخطيب المذكور للخطبة،  
وقد تقدمته الرايتان السوداوان وقد ركزتا بجانب المنبر الكريم، فقام بينهما، فلما فرغ من الخطبة  
الأولى، جلس جلسة خالف فيها جلسة الخطباء المضروب بها المثل في السرعة، وابتدر الجمع  
مردة من الخدمة يخترقون الصفوف، ويتخطون الرقاب، كدية (الكدية: التسول والشحاذة)  
على الأعاجم والحاضرين لهذا الخطيب القليل التوفيق؛

فمنهم من يطرح الثوب النفيس. //

ومنهم من يخرج الشقة الغالية من الحرير فيعطيها، وقد أعدها لذلك.

ومنهم من يخلع عمامته فينبذها.

ومنهم من يتجرد عن برده فيلقي به.

ومنهم من لا يتسع حاله لذلك فيسمح بفضلة من الخام.

ومنهم من يدفع القراضة من الذهب.

ومنهم من يمد يده بالدينار والدينارين.

إلى غير ذلك.

ومن النساء من تطرح خلخالها وتخرج خاتمها فتلقيه.

إلى ما يطول الوصف له من ذلك.

والخطيب في أثناء هذه الحال كلها، جالس على المنبر يلحظ هؤلاء المستجدين المستسعين على الناس بلحظات يكرها الطمع ويعيدها الرغبة والاستزادة، الى أن كاد الوقت ينقضي، والصلاة تفوت، وقد ضج من له دين وصحة من الناس، وأعلن بالصياح وهو قاعد ينتظر اشتفاف صبابه الكدية وقد أراق عن وجهه ماء الحياء، فاجتمع له من ذلك السحت المؤلف كوم عظيم أمامه، فلما أرضاه قام وأكمل الخطبة وصلى بالناس. وانصرف أهل التحصيل باكين على الدين، يائسين من فلاح الدنيا متحققين أشراف الآخرة. والله الأمر من قبل ومن بعد! اهـ

= ولم ينقض هذا الحال السييء بعد زمن ابن جبير؛ فهذا محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين ابن رشيد الفهري السبتي (المتوفى: ٧٢١هـ) رحمه الله، يسجل مشاهداته في طريق الحج والزيارة في رحلته التي اسماها: (ملء العيبة بما جُمع بطول العيبة في الوجهة الوجيية إلى الحرمين مكة وطيبة)، وطبع منها المجلد الخامس بتقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان/ الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

يقول الفهري في ملء العيبة (ص: ٨٧ - ٨٩):

"وأشار بموافقة الجمهور في التوجه تلك الليلة إلى عرفات والمبيت بها وتركهم سنة المبيت بمنى لتوقع ما يخاف من الأعراب في أطراف النهار وأعقاب الناس، ويجذر من انتهاجم بما قل من العدد ولم يستصحب شيئاً من العدد، ومن تأخر من الناس أو انفرد وانسلأهم بين تلك الشعاب، وتوغلهم في الجبال بحيث يتعذر الإيخاف عليهم بجبل أو ركاب، فوقع العزم على التوجه، وكان رأياً مباركا والحمد لله؛

فقدمت له راحلته، فعزمت عليه في الركوب، فأبى إلا أن يسايرني إلى عرفات، ووضع يده في يدي، فسرنا جميعا إلى عرفات فوافيناها عند غروب الشمس، فذهب هو مع صحبه لموضع نزوله، وانفردت أنا مع صحي، وبتنا تلك الليلة بعرفات.

**وعلى إثرنا انتهب قطاع العرب بعض من تأخر من أهل الركب، وكان منهم لمن دافعهم قتل وسلب، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.**

ورأينا في تلك الليلة عجا فيما ابتدعته العامة؛

من الاستعداد والاحتفال بوقد الشمع بطول تلك الليلة، بالجبل القائم في وسط عرفات المعروف عند العرب القدماء بإلال، وهو جبل مرتفع، في أعلاه مسجد، تنصب به رايات أمراء الركب، وقد صنع له درج بالبناء من أمامه ومن خلفه، فيرتقى إليه على طريق وينزل من أخرى، وربما التقى فريق مع فريق فيغص الجبل بالصاعدين والنازلين، وهو يتأجج نارا، ويتموج كالبحر زخارا، والطرق إليه بالشموع في بسيط عرفات، كالسطور المذهبات، تتصل به من كل الجهات، وأنت إذا نظرت إليه على بعد من الخيمات، تراه كشعله واحدة، وما يطول من الشمع كأنه ألسن متعاضدة، فترى عجا، صلدا عاد ذهباً، أو صار لهباً.

بل هذه الحالة من قبيح البدع، التي يجب أن يزجر عنها فاعلها ويردع وقد نبه على ذلك الإمام الفاضل جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب، الفقيه المالكي، وبين قبح هذه الحالة التي استحسناها العامة، وبين ما أخطأ فيه الناس من أمر هذا الجبل فقال رحمه الله. ومنها إيقادهم النيران عليه ليلة عرفة، واهتمامهم لذلك باستصحاب الشمع له من بلادهم.

واختلاط النساء بالرجال في ذلك صعودا وهبوطا، بالشموع المشعلة الكثيرة، وقد تراحم المرأة الجميلة بيدها الشمعة الموقدة كاشفة عن وجهها، وهذه ضلالة شابهوا فيها أهل الشرك في مثل ذلك الموقف الجليل.

وإنما أحدثوا ذلك من قريب حين انقرض أكابر العلماء العاملين الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وحين تركوا سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحصولهم بعرفات قبل دخول وقت الوقوف بانتصاف نهار يوم عرفة لكونهم؛ يرحلون في اليوم الثامن من مكة إلى عرفة رحلة

واحدة، وإنما سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسير في الثامن من مكة إلى منى، والمبيت بها إلى يوم عرفة، وتأخير الحصول بعرفات إلى ما بعد زوال الشمس يوم عرفة.

وقال في ملء العيبة (ص: ٩٥): "تنبيه وحسرة: ترك الجمع على سنته في موضعه، وصاروا يصلون بإمام يتم لهم، ولا يحسن السنة أما موقف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويؤخر الظهر إلى قريب العصر، فينتظره كثير من الجهال، وبصلي أهل العلم فرادى أو مجتمعون في رحالهم ثم يجيئون إلى موقف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والذي ظهر من الحكمة الشرعية في مبيت الناس بمنى، وإقامة الصلاة بمسجد إبراهيم، ثم المجيء إلى الموقف أن يصل الناس وتلك الأمكنة المطهرة طاهرة، ولم يبق إلا التشاغل بالذكر والدعاء، وأما الآن فتصبح تلك العرصات المشرفات، وقد ملئت فضلات آدميات وبهيميات، وإن شئت قل في الجميع بهيميات.

ولقد جهدنا أن نجد موضعا للصلاة طاهرا فما وجدناه إلا أن يصلي على حائل يوضع على الأرض حتى على الصخرات المباركات، ولا حول ولا قوة إلا بالله" اهـ.

يلاحظ التالي :

- أنه ذكر عدم أمن الطريق وتسلب اللصوص وقطاع الطريق؛ حتى في الانتقال من مكة إلى عرفة.

- أنه ذكر انتشار البدع على جبل عرفة.

- أنه ذكر انتشار الفضلات الآدمية والبهيمية على صعادات عرفة.

والحمد لله رب العالمين جميع هذا أزالته الدولة السعيدة، فلم يعد له أثر، فالله يجزاهم خيرا عن الإسلام والمسلمين، ويجزل لهم الأجر والمثوبة.

بل وزادت المملكة العربية السعودية في الاهتمام بمشعر عرفة، فهي ترسل بالمرشدين طوال زمن الوقوف ليحددوا للناس مكان الوقوف ولا يخرجوا عن حدود عرفة، ليتحقق لهم ركن الوقوف في عرفة، فإن الحج عرفة.

= بدعة المقامات الأربعة حول الكعبة؛

فللشافعية مقام، من جهة مقام إبراهيم.

وللحنفية مقام، من جهة ميزاب الكعبة.  
 وللمالكية مقام، ما بين الركن اليماني وحجر إسماعيل..  
 وللحنابلة مقام ما بين الحجر الأسود والركن اليماني.  
 تقام الصلاة في كل مقام للصلاة الواحدة في أوقات مختلفة، و لا يتحدون إلا في صلاة المغرب.

ومن ذكر مشاهداته لهذه البدعة ابن جبير رحمه الله في رحلته للحج عام ٥٧٩هـ.  
 قال ابن جبير (رحلة ابن جبير ط دار الهلال ص: ٧٠ - ٧٢):  
 "وللحرم أربعة أئمة سنية وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية،...  
 فأول الأئمة السنية الشافعي رحمه الله، وإنما قدّمنا ذكره لأنه المقدم من الإمام  
 العباسي. وهو أول من يصلي، وصلاته خلف مقام إبراهيم... إلا صلاة المغرب فإن الأربعة  
 الأئمة يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها؛  
 يبدأ مؤذن الشافعيّ بالإقامة، ثم يقيم مؤذّنو سائر الأئمة.  
 وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهو وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة؛  
 فربما ركع المالكيّ بركوع الشافعي أو الحنفيّ .  
 أو سلّم أحدهم بغير سلام إمامه؛  
 فترى كل أذن مصيخة لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو.  
 ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس.  
 ثم المالكيّ رحمه الله، وهو يصلي قبالة الركن اليماني، ...  
 ثم الحنفيّ رحمه الله، وصلاته قبلة الميزاب، ...  
 ثم الحنبلي رحمه الله، وصلاته مع صلاة المالكيّ في حين واحد، موضع صلته يقابل  
 ما بين الحجر الأسود والركن اليماني. ويصلي الظهر والعصر قريبا من الحنفي "اهـ.  
 يلاحظ :

- قد بقيت هذه البدعة زمنا طويلا حتى قامت الدولة السعودية، واستمرت إلى أن  
 جاء الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، فندب العلماء للنظر في مقامات المسجد وانقسام  
 جماعته لجماعات متفرقة، وكان ذلك من ابتداء توليه على الحجاز عام ١٣٤٣هـ، ثم أصدر  
 أمره بإبطال هذه البدعة وتوحيد الجماعة خلف إمام واحد لجميع الصلوات، ينظر "تاريخ

عمارة المسجد الحرام" (ص: ٢٣٣).

وفي سنة ١٣٤٤هـ - ١٣٤٥هـ، أبطل الملك عبدالعزيز بدعة المقامات الأربعة .  
 - أن هذه البدعة كنت من عوامل إيدجاد الاختلاف والتفرقة بين المسلمين.  
 - أن الملك عبد العزيز رحمه الله، بادر من أول توليه الحجاز إلى إزالتها، فله الحمد  
 والمنة.

= بدعة المحمل، وما يصاحبه من أمور منكرة مخالفة للشرع.

كان يأتي إلى مكة المكرمة زمن الحج، المحمل التركي ، والمحمل الشامي، والمحمل  
 المصري.

وكان أهمها المحمل المصري ، الذي كان يحمل مع الأرزاق والمساعدات لأفقراء الحرم،  
 كسوة الكعبة.

وكان يجعل هودج كبير فخم على جمل، في أول ركب المحمل. ويصحب الموسيقى  
 والرقص.

وكانوا يدورون به في أحياء القاهرة.

وعلى اليوتيوب مشاهد لذلك لمن يريد مشاهدته وذلك في زمن الملك فؤاد.

والمحمل بدعة موجودة من قبل ذاك الوقت.

وقد ظهر موقف إنكار المحمل ومنع مظاهره ، لما أفتى به علماء الدعوة الوهابية

(النجدية) في شأن المحمل فبعد دخول سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود أحد أجداد

الملك عبد العزيز مكة وتمكنه منها ، أرسل كتاباً إلى السلطان سليم الثالث العثماني (

١٧٨٩ - ١٨٠٧م) جاء فيه :

"إني دخلت مكة ، وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد أن هدمت ما هنالك  
 من أشباه الوثنية وألغيت الضرائب ..... فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من  
 المجيء إلى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمر فإن ذلك ليس من الدين في شيء !!"  
 يلاحظ ما يلي :

- الإمام سعود بن عبدالعزيز كان في الدولة السعودية الأولى. جاء في كتاب الأعلام

للزركلي (٣ / ٩٠): " (١١٦٣ - ١٢٢٩ هـ = ١٧٥٠ - ١٨١٤ م) . سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود: إمام، من أمراء نجد، يعرف بسعود الكبير. وليها يوم مقتل أبيه بالدرعية (سنة ١٢١٨ هـ)، وجند جيشا كبيرا أخضع بن معظم جزيرة العرب، فامتد ملكه من أطراف عمان ونجران واليمن وعسير إلى شواطئ الفرات وبادية الشام، ومن الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر. وكان موفقا يقظا، لم تهزم له راية، موصوفا بالذكاء، على جانب من العلم والأدب، مهيب المنظر، فصيح اللسان، شجاعا، مدبرا. كانت إقامته في الدرعية. وتولى بنفسه كثيرا من المغازي. وفي أيامه حشدت الدولة العثمانية جويشا من الترك وغيرهم، بقيادة محمد علي باشا (سنة ١٢٢٦ هـ لمحاربة آل سعود، في نجد، وأرسل محمد عليّ ابنه أحمد طوسون، من مصر، فدخل المدينة ومكة (سنة ١٢٢٧ هـ)، والطائف سنة (١٢٢٨ هـ)، وقال صاحب (الخبر والعيان) : (مات سعود بعلة السرطان المعويّ، والحرب النجدية المصرية في بدء شبوبها، ونجد في أشد الحاجة إليه)" اهـ.

- أن خطابه للدولة العثمانية يدل على أن آل سعود لم يكونوا تابعين لحكومة الاستانة.

- أن بدعة المحمل قديمة.

- كانت بدعة المحمل موجودة لما دخل الملك عبدالعزيز، وقد أبطلها، بعد حادثة حصلت مع إخوان من طاع الله، والجنود المصريين الذين كانوا مع المحمل، ثوروا فيها البارود على إخوان من طاع الله، وسلم الله من شر الفتنة، وعالج الملك عبدالعزيز الأمور بحنكته، رحمه الله.

= هدم الأضرحة والمباني والقباب على القبور.

في صور قديمة قبل دخول الملك عبدالعزيز رحمه الله، لمقبرة المعلاة، (مقبرة الحجون)، تظهر المباني والأضرحة، والقباب، التي كنت مبنية على القبور. وهذه كلها أزيلت، ولله الحمد والمنة.

وهذا إظهار لأمر التوحيد، وإزالة لمظاهر الشرك.

= أمن الناس بدخول عبدالعزيز آل سعود رحمه الله مكة المكرمة، وإشرافه على  
شأن الحج والحجيج؛

أمنوا في الطرق، فأقام الحدود، التي كان لها أبلغ الأثر في كف أيدي اللصوص وقطاع  
الطريق.

ويدل على شيوع الأمن واستتبابه في أرض الحرمين بعد مجيء عبدالعزيز بن عبد  
الرحمن آل سعود رحمه الله ؛ ما جاء في كتاب "مشاهداتي في الحجاز" ١٣٥٤ هـ، لمؤلفه  
عباس متولي الذي كان أستاذاً للشريعة في جامعة القاهرة) ، والذي يصف فيه ما لمس من  
توفر الأمن في طرق الحجاج ، فقد تعطلت بهم السيارة في الطريق من مكة المكرمة الى المدينة  
المنورة ويقول: "جاء بعض الأعراب يطلبون إحساناً، فتقدم إلي أحدهم يطلب مني صدقة  
فأعطيت غيره متظاهراً بالغنى والثراء؛

فقال: أعطني يا حاج. فقلت : خذ ما تريد من جيبي!

فقال: حرام عليك وما جنيت؟ أتريد قطع يدي لا يا بوي لا أطلب شيئاً.

فقلت : إننا في عزلة عنهم (يقصد بذلك الحكومة).

فازداد الرجل إصراراً. فدهشت لهذا ورددت قول سيدنا عثمان بن عفان رضي الله  
عنه: (إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن) وأعطيته ما تيسر.

ولقد مكثنا في مكاننا إلى ساعة متأخرة من الليل ، أحضروا أثناءها الماء واللبن  
وأكرموا وفادتنا من غير أن يتعرض أحد منهم لنا بسوء».

ويقول: "استتباب الأمن بهذا الشكل لم يوجد في الحجاز إلا بعد تنفيذ شريعة الله،  
وإقامة حدوده".

ويروي الأديب إبراهيم المازني في كتابه (رحلة إلى الحجاز) حوادث ذات دلالة على  
استتباب الأمن وإقراره على يد الملك عبدالعزيز فيقول: "والطريق إلى مكة طريقان ؛ واحد  
للسيارات والآخر للجمال والمشاة ، وكانت الجمال تسير في قوافل ، و هي تحمل بضائع شتى في  
الصناديق و الأكياس والغرائر، و ليس معها سوى طفل واحد هو كل حرس هذه القافلة"اهـ.

= توسعة الحرمين وخدمة المشاعر.

فهذه توسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي.

وهذا مبنى الجمرات بطوابقه.

وهذا المسعى وتوسعته.

وهذه السنة بدأت بتنفيذ خطة (طريق مكة)؛ بحيث يأتي الحاج من بلده مباشرة إلى المدينة أو مكة بحسب خطته، ولا يتوقف في المطار ولا يؤخر.

ووفرت قطار الحرمين بين مكة والمدينة.

ووفرت قطار المشاعر بين عرفة ومزدلفة ومنى.

أما من جهة العناية بصحة الحاج، وتوفير الطعام والشراب، والمرافق العامة، وتهيئة أماكن النزول والسكن، وتوفير التوعية والإرشاد الديني؛

فأمر آخر بذلت فيه المملكة ماشاء الله لها أن تبذله من الإحسان والإكرام لوفد

الرحمن! بما يجعل الحاج المنصف يعترف بفضلها وحسن تعاملها وقيامها بهذا الشأن!

فجزاها الله خير الجزاء، على جهودها، وبارك الله فيهم، وكفاها الله شر كل ذي شر.